

# هل ولي عصر التنظير المسرحي ونقاده المخضرمين

## كتب المسرح تنتعش في معرض الشارقة وتنفض عنها غبار الرتابة والنسيان



المسرح صارت مرجعيته الإنسان المعاصر

وصور ثابتة لها قوانين. مصطلح الكايوسية تعينه الباحثة فانتن في مسارح مصر، سوريا، الأردن، المغرب، الجزائر، السودان والعراق. تجربنا الباحثة أن جذور نظرية الكايوسية تعود إلى زمن طويل، ودرستها كل من: أنطوان بوانكاريه، ماكسويل، ودرستها إدوارد لورنتز في ستينات القرن الماضي. وفي النهاية فإن معرض الشارقة الدولي للكتاب، كان في جميع دوراته، ومنذ تأسيسه «واحة ثقافية» لا بد منها وسط هذا التصحر.

الباحثة المسرحية فانتن حسين ناجي الطائي تضع كتابا بعنوان «الكايوسية في مسرح ما بعد الحداثة» فما هي الكايوسية أولا بالنسبة للقرائى وربما للقرائى المسرحي المتخصص، فالكايوسية هي مصطلح مسرحي، فماذا تقول الباحثة نفسها عن هذا المصطلح؟ تقول فانتن الطائي «إن الكايوسية يخضع إلى نمط من أنماط الظواهر الطبيعية تتحرك فيها الأجسام بشكل عشوائي ولا تخضع فيه الظواهر لقوانين الطبيعة، ولكنها مع ذلك وعلى المدى الطويل تعيد تكوين نفسها بشكل منظم وباشكال

للمخرج والباحث المسرحي العراقي قاسم بياتلي، إذ يقدم قراءة تاريخية مكثفة ومركزة في فرق كوميدية ديلارته، ويضع هذه القراءة في سياقها الثقافي بين ما سماه الأسطورة والتاريخ. في هذا الكتاب تقرب من الثنائية المعروفة في فن المسرح وهي «السيناريو والعرض»، ونقرأ عن الكوميديا المرتجلة، ومفهوم الارتجال الفني في التمثيل، والإخراج والتمثيل وهما ثنائية مهمة أيضا في المسرح، وغير ذلك من قضايا في هذا الكتاب الذي يضم أيضا نصوصا مترجمة.

أكثرها في العام 2019 لكتاب ونقاد مسرحيين عربا وأجانب، وإلى جانب ذلك، استحدثت دائرة الثقافة في الشارقة عام 1996 جائزة التأليف المسرحي، وفي الوقت نفسه صدرت عن الدائرة عناوين مسرحية مهمة مثل «فيزياء الجسد» للباحث والناقد المسرحي فاضل الجاف.

### إصدارات الهيئة

أن تحدث جائزة للتأليف المسرحي لهو أفضل السلف مرة من إقامة ندوة نظرية تبحث في التفاصيل المسرحي، مثلا، ذلك أن الساحة المسرحية الآن تحتاج إلى ضخ دماء جديدة، وإلى نصوص تشبه جمهورها وتقرب منه بدل الاتكاء على الإعداد والصيغات المكررة لبيئة لا تنتمي إليها رغم التقارب الذي أنجزته العولمة وثقافتها التي لا تخلو من التسطيح والنمطية.

أما الكتب النظرية التي أشرفت على إصدارها الهيئة العربية للمسرح في الشارقة، وسدت ركنا أساسيا في معرض الكتاب هذا العام، فليست من ذلك النوع الذي يدعو للتأؤب والتلمل بل هي كتب تنتمي إلى العصر وتحاول تخفي كل ما هو مكرر وعديم الجدوى.

ومن أهم العناوين التي نطالعتها في هذه الدورة وفي الدورات السابقة «قوس قزح الرغبة - من نهج أوجستو بوال في المسرح والعلاج»، تأليف أوجستو بوال، ونقلته إلى العربية نورا أمين، واللافت في هذا الكتاب الذي يهيم غير المسرحيين أيضا أنه يتحدث عن عظمة فن المسرح وصلته النفسية والتربوية والجمالية بالإنسان قبل وبعد أي شيء.

مثل هذا الكتاب لا يمكن أن يقنيه المسرحي المتخصص فحسب بل المرابي والطبيب وعالم المجتمع وسيدة المنزل.. وهذا ما يجعل المسرح فنا خالدا يجدد نفسه بنفسه، ويمنح الفرصة في كل مرة للتدارك، والقول إن الفن الرابع عالم لا يموت مع تنامي وتطور الفنون البصرية ذات المنشأ الإلكتروني من تلك التي تنتشر على منصات التواصل الاجتماعي التي هي ليست من التواصل في شيء أمام أنسنة وإنسانية المسرح منذ مؤسسه الإغريق إلى حد اللحظة.

الكتاب والباحثون العرب لم يكونوا مغيبين عن هذا المعرض المعلاق، إذ حضروا عبر مؤلفات ذات قيمة توثيقية ومعرفية يمكن الاعتماد عليها في برامج تعليمية مثل كتاب «كوميديا ديلارته وتقنيات فن الارتجال المسرحي» للإغريق إلى حد اللحظة.

يتفق الجميع على أن الفن الرابع لا يمكن أن يزدهر ويتطور إلا إذا رافقته حاضنة نظرية ونقدية تفتح أمامه آفاق التجريب والبحث عن صياغات فرجوية وسرديات جديدة تتعلق ببناء النص وتقنية العرض والأداء، وتوفر له مجالاً للتنظير والنقد والإبداع، وهو ما كرسته على مدى سنوات الهيئة العربية للمسرح.

معاً وسعدالله ونوس، واللبنانيين بول شاول وروجيه عساف.

هذا بالإضافة إلى بروز جيل جديد من الشباب المسرحي العربي الذي لا يهتم كثيرا ولا يعبأ بالتنظير وتوهم اجتراح الحلول المحلية في ظل عولمة تكسح المسرح وتفرض عليه عناوينها بصرف النظر عن الخصوصيات القطرية والإقليمية، والتي لم تعد خصوصيات ولا يمكن نعتها بالتوازل والمنكبات الثقافية بل صار المطبخ واحدا والأدوات والطاخر واحدة، وحتى الأنواق والبيات التلقي واحدة.

من يحضر مهرجانا عربيا للمسرح، يشهد له بعراقته في عواصم مثل القاهرة أو تونس أو حتى دمشق وبغداد ما قبل الأزمات السياسية والإمنية، يلاحظ غيابا للجمهور في القاعات المخصصة للندوات ومناقشة العروض، ويلمس عزوفا واضحا لفئة الشباب عن تلك الندوات التي يديرها «المسنون» من النقاد والمنظرين، بل يلمس نوعا من الاستهزاء والسخرية في الوسط الشبابي، وذلك بسبب قناعة هؤلاء أن كل تجربة مسرحية تتحدث عن نفسها بنفسها أثناء عرضها، كما أنها ليست في حاجة إلى «راع نظري» ينبه الناس ويقنعهم بجودها.

لقد ولي عصر التنظير وتلمس البحث عن الخصوصية والتواصل، وأصبحت لجمهور المسرحيين مرجعية واحدة اسمها إنسان العصر في اغترابه وأزماته التي صارت واحدة، لذلك تشابهت وسائل التعبير وتقاربت الأجيال وتقلصت المسافات.

الأمر اللافت في ما أقدمت عليه الهيئة العربية للمسرح في الشارقة، هو أنها قد تطلعت إلى هذه القطيعة بين المسرحيين الجدد وجيل النقاد القدامى والمخضرمين فعالجت المسألة بذكاء احترافي وعملي يلم بالأزمة وي طرح الحلول دون اجترار ما هو مجتر ولوك ما هو سلاك، وذلك بتعويض النقص في إصدار كتب الدراسات والبحوث المسرحية بمؤلفات أكثر طراجة وانتماء لروح العصر ومتطلباته، ففي نحو ثلاثة عشر عاما أصدرت الهيئة أكثر من ثمانين عنوانا متخصصا



حكيم مرزوقي كاتب تونسي

الاحتفاء بالمسرح حقلا جماليا وحاجة اجتماعية ونفسية ومعرفية بل وسيلة علاجية دخلت سياق التداوي، كان حاضرا في معرض الشارقة الدولي للكتاب، ولمدة 10 أيام من 4 إلى 14 نوفمبر في الإمارة التي حافظت على ريادتها كعاصمة عربية للكتاب بامتياز، وللمسرح على وجه الخصوص منذ تأسيس الهيئة العربية للمسرح في الشارقة عام 2007.

### الهيئة العربية للمسرح تطلعت إلى القطيعة بين المسرحيين الجدد وجيل النقاد القدامى فعالجت المسألة بذكاء احترافي

ولاحظ المراقبون والمهتمون والزائرون للنسخة الأخيرة من معرض الشارقة الدولي للكتاب، وكذلك في الدورات السابقة، شخ الإصدارات والعناوين ذات الصلة بالتنظير للنقد المسرحي والتواصل له والتطبيق على أعمال مسرحية على نحو نظري، ومن الملاحظ أيضا أن هذا الجانب الثقافي المسرحي لا يملؤه إلا المتخصصون فيه من الباحثين والدارسين في حقل أبي الفنون.

### العزوف عن النظريات

الأسباب عديدة ومتنوعة بتنوع الأزمات وكثرتها في مجال صناعة الكتاب وانتشاره على امتداد العالم العربي. ومن هذه العوامل التي جعلت الكتاب المسرحي، على وجه الدقة والتحديد، يحضر باحتشام في معارض الكتاب، وتغيب عن أغلفته أسماء وعناوين عربية، هو اختلاف جيل كامل من المنظرين والنقاد الذين تركوا مقاعدهم شاغرة بحكم الموت أو «التقاعد الاختياري» لأسماء قالت كلمتها زمن موجة التواصل وإعادة التواصل في المسرح العربي مثل المغربي عبد الكريم برشيد والطبيب العليج، والتونسيين عز الدين المدني وسيمير العبادي، والعراقيين فاضل خليل وصلاح قصب، والسوريين نديم

# أصيلة تضع اللبنة الأولى لمتحف فنانها الراحل محمد المليحي



محمد بن عيسى

### المشغل الفني استحضار روجي وعاطفي لروح الفنان الكبير الذي يعتبر أحد رواد تحديث الفن التشكيلي في المغرب

محمد المليحي خطبا خفيا من التاملات البصرية، ليصل إلى اللامتناهي من الأشكال التجريدية التي لا تعلن إلا عن درجة صفائها ورغبتها في أن تحلق وحيدة، منفصلة عن أصولها الواقعية، كما لو أنها تضي من خصالها صفات على المشاهد الطبيعية التي لا يزال المليحي يهيم في مطاردة تجلياتها، مثلما كان يفعل في طفولته وهو المولود عام 1936 في أصيلة، البلدة الصغيرة النائمة على ساحل بحر الظلمات.

اللغات التي تنظمها جامعة المعتمد بن عبد الصيفية، وتناقش في كل دورة قيمة فكرية أو ثقافية راهنة بكل جرأة وتحير. ويتوج موسم أصيلة الثقافي الدولي في نهاية فعالياته بحفل تسليم الجوائز لسكان مدينة أصيلة. المدينة التي تقع على شاطئ المحيط الأطلسي، والتي شهدت على مدى ثلاثة عقود من الزمن تحولات هامة، فعبير منتدي أصيلة الثقافي استطاعت أن تتحول إلى قلب ثقافي وسياسي هام، يحج إليها الآلاف من المثقفين كل سنة.

وتعد المدينة مركز إشعاع ثقافي كبير بالمغرب عامة وبمنطقة جباله خاصة، وذلك لاحتوائها على أكبر معرض فني مفتوح في المغرب يتمثل في أزقة المدينة وأحيائها، كما تتميز بالنمط المعماري الأندلسي الأصيل. إنجازات هامة تحققت في المدينة، ما كان لها أن تتحقق من دون الانطلاقة الأولى من مخيلة الفنان محمد المليحي وصديقه محمد بن عيسى. ونذكر أن محمد المليحي توفي أواخر شهر أكتوبر الماضي عن عمر 84 عاما، بعد دخوله لقسم العناية المركزة بأحد مستشفيات باريس على إثر إصابته بعوى فايروس كورونا.

والمليحي من أبرز رواد الفن التشكيلي المغربي المعاصر، حيث يصفه الكاتب العراقي فاروق يوسف قائلا «يعد

من الناس وتقريب الفنون والثقافة إليهم حتى في الشوارع، فقد انصب اهتمام الفنان في مرحلة من مراحل الفنية على تأثير الفن على المجتمع، وحاول استعادة دور ومكانة الفن في الحياة اليومية للناس وفي هواجسهم وعاداتهم. بعد أن أعده ربما انفصاله عنهم عبر الغلابة في التجريب وإنكار المتلقي.

وكان وجود صديقه محمد بن عيسى على رأس السلطة في أصيلة مناسبة لتمكين من أن يتشارك فيه الناس العاديون بأيديهم وأبصارهم وخيالهم، وقد صنع الرجلان مدينة خيالية، لها من الحكايات ما يشبه الأمواج التي ترتطم بياستها، غير أن كل شيء في أصيلة كان يذكر بلوحات المليحي، وكان الرجل صنع مدينة تشبه لوحاته أو المدينة صنعت نفسها في لوحاته.

وبمرور السنوات تطور موسم أصيلة ويمكن من أن يصبح أهم تظاهرة ثقافية وفنية لا بالمدينة فحسب وإنما في المغرب ككل إضافة إلى إشعاعه العربي والعالمي الكبير، وفي كل سنة تقدم التظاهرة التي تنظمها مؤسسة منتدي أصيلة، مجموعة من السهرات والعروض والندوات والموائد المستديرة حول مواضيع مختلفة بمشاركة مفكرين وباحثين وإعلاميين ورجال سياسة مغاربة وأجانب، في إطار

محمد المليحي إن من بناء موسم أصيلة، المدينة التي ولد فيها في ثلاثينات القرن الماضي، حيث تمكن هذا المهرجان على مدى دوراته المتعاقبة من أن يكون نادرا في أناقته لو قارناه بالمهرجانات الفنية العربية الأخرى، حيث هناك في مهرجان أصيلة شيء تفتقد إليه المهرجانات الفنية العربية الأخرى إلا وهو الحرية.

ليس من فراغ انخراط المليحي في هذه التظاهرة، المفتوحة والتي تحاول الاقتراب

بلكاهية (المغرب)، كامي بلويس (الولايات المتحدة)، سليم الداغ (العراق)، محمد خليل (السودان/الولايات المتحدة)، محمد المليحي (المغرب) وناصر سومي (فلسطين).

وسجل البلاغ أنه منذ ذلك الحين دأب فنانون من المغرب والأميركتين وأفريقيا وأوروبا والعالم العربي على المشاركة في هذه التظاهرة الفنية والثقافية. كما أنه تم الإعلان عن موسم أصيلة الثقافي الدولي الأول صيف ذلك العام.



فنانة أمين بمدنيته وساهم في إشعاعها الثقافي



محمد بن عيسى

أصيلة (المغرب) - تنظم مجموعة من الفنانين التشكيليين في مدينة أصيلة المغربية مشغلا فنيا ترحما على روح أستاذهم الفنان التشكيلي محمد المليحي، وذلك من 16 إلى 27 نوفمبر الجاري بقصر الثقافة، بإشراف من مؤسسة منتدي أصيلة.

ونقل بلاغ المؤسسة عن أمينها العام محمد بن عيسى قوله «إن هذا المشغل يعتبر استحضارا روحيا وعاطفيا لروح الفنان الكبير الذي يعتبر أحد رواد تحديث الفن التشكيلي في المغرب».

وأضاف بن عيسى أن «الأعمال التي تنجز في هذا المشغل ستكون نواة المجموعة الفنية في متحف المليحي الذي ستيقمه مؤسسة منتدي أصيلة نهاية العام المقبل».

وأشار البلاغ إلى أن محمد المليحي وصديقه محمد بن عيسى كانا قد أطلقا، قبل أربعين سنة، مشروع أصيلة الثقافي والفني، بهدف دعم مشاريع التنمية الشاملة في المدينة.

وأوضح المصدر أن هذا الأمر بدأ في أبريل 1978 حين نظمت أول عملية لصباغة الجداريات في أصيلة شارك فيها أحد عشر فنانا مغربا، تبعها في شهر يوليو من نفس السنة افتتاح «مشغل الحفر» بحضور الفنانين رابولاش (غواتيمالا)، روبير بلاكوبون (الولايات المتحدة)، فريد